القضيّة الفلسطينية واقتراحات للحلّ

الشيخ بكر الرفاعي[1]

الملخّص

لم يعرف العالم، ولم يسجل التاريخ -فيما أعلم- قضية تشعبت جوانبُها، وتنوعت مضاعفاتُها والتدخلاتُ فيها، وامتلأت خزائن المحافل الدولية بقرارات وتوصيات حولها كالقضية الفلسطينية. فلقد كان من الفلسطينيين أطباء بارعون ومحامون مرموقون، وفنّيون في كل المجالات من زراعة، وتجارة، وإعلام، وإدارة، وهندسة وغير ذلك. فإنّ الذين ابتلي بهم الفلسطينيون والذين أتى بهم الاحتلال الإنجليزي هم اليهود، واليهود لم يأتوا كمحتلين لأنّ مصير المحتل أن ينهي فترة احتلاله ويخرج، ولكنهم أتوا كطامعين في تملك البلاد وطرد أهلها منها، وهذا هو الفارق بين وضع شعب فلسطين والشعوب المحتلة الأخرى. وهكذا طالت قضية فلسطين، وانتهى كل احتلال أجنبي في العالم، ولم يبق إلا الوجود اليهودي على هذه الأرض الذي أتى بالغدر والخيانة، والنفاق الدولي، والتواطؤ العربي الخفي، ولكنه لا بدّ إلى زواله بإذن الله. وعلى أبناء فلسطين أن يعوا الدرس جيدا، وأن يبذلوا من الجهد - في كل الميادين- ما يؤدي بهم إلى الحصول على استقلالهم .

الكلمات المفتاحية

فلسطين، القضية الفلسطينية، الإحتلال البريطاني والصهيوني، تحرير القدس الشريف.

---

١ . مفتي محافظة البقاع – لبنان.

تمهيد

"فلسطين هي ميراث الأجداد ومسؤولية الأحفاد، معراج محمدي وعهد عمري، فتحها المسلمون بعد وفاة الرسول (صظ) بست سنوات فقط، وحكموها قرونًا طويلة، ثم احتلها الصليبيون فأخرجهم المجاهدون بقيادة صلاح الدين، ثم احتلها اليهود في عصرنا ولن يخرجوا إلا بالجهاد في سبيل الله".

وقد كان للفلسطينيين الفضل الكبير في نقل كثير من الإمارات أو الدول التي استقلت من حالة البدائية والتخلف إلى حالة التعلم والتقدم والتنظيم، وما زال الفلسطينيون لم يحصلوا بعد على استقلالهم، ولم يكن نصيبهم من كثير تلك الدول التي علَموها وأخذوا بيدها إلى التقدم إلا التنكّر لكل ما هو فلسطيني، والتضييق على الفلسطينيين الذين كان حظهم أن يبقوا فيها، في حين أنّ أهل هذه البلاد انفتحوا على كل أعداء الفلسطينيين تعاوناً وإقامة علاقات، فيا لها من مفارقة عجيبة.

"القدس لا تمثل للمسلمين مجرد أرض محتلة احتلالاً جائراً على يد شرذمة من يهود العالم في أكبر عملية تزوير تاريخية باستحلال الأرض باسم الدين، والمحاربة فيها باسم الدين، بل هي قضية عقيدة ربط الله بينها وبين المقدسات الإسلامية في مكة، التي هي قبلة المسلمين في كل أرجاء الأرض، حين أسري الله عز وجل بنبيه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصي ليصير التفريط في القدس تفريطا في مكة، ولتصير حرمة الأقصى من حرمة الكعبة ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[1] ، والقدس من القداسة والتقديس فهي جزء من دين الأمة وعقيدتها، والأمة المعنية بتلك القضية هى

١. سورة الإسراء: ١.

أمة الإسلام، وحين يسمع المسلم الحديث النبوي الذي رواه البخاري ومسلم "لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس، فقيل من هم يا رسول الله قال: هم في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس" يتيقن من أن فلسطين كلها أرض مقدسة، وأن التنازل عنها تنازل عن جزء من عقيدته وأنّ الموت دونها هو موت في سبيل الله تحركه في ذلك عقيدته، لذلك فالقضية دينية في المقام الأول وليست قضية أرض مستباحة ودولة محتلة."

الطريق إلى تحرير المقدسات

ومن هنا ندرك أن الحديث عن القدس وحدها في وسائل الإعلام العالمية وانجرار العرب والمسلمين خلف حصر القضية في المقدسات وحدها هو نوع من ألاعيب المحتل حتى ننشغل عن بقية الأرض، ففلسطين كل فلسطين مقدس إسلامي يجب على الجميع أن يشارك في تحريره، وطريق المفاوضات التي جعلها العالم غاية في حدّ ذاتها، وكأنه وضع التفاوض في ناحية مقابلها ما يسمونه بالإرهاب لتضيع القضية في غياهب المؤتمرات.

" إنّ العالم لا يحترم الضعيف، ولا يعرف غير لغة القوة، القوة المشروعة التي كفلتها القوانين الدولية والشرائع السماوية في تحرير الأرض المستباحة، فوجب على المسلمين أن يعوا أن قضية فلسطين غير قابلة للتفاوض، وليس من حق إنسان أن يتنازل عن شبر واحد منها لا شرقية ولا غربية، وما يجب فعله الآن هو أن يدرك المحتل أن بقاءه فيها مسألة وقت كما نعتقد جميعاً ونتعبد إلى الله بذلك، وأرى أن الانتفاضة الفلسطينية الثالثة يجب أن تبدأ على الفور، لتشتعل الأرض غضباً وناراً من تحت أقدامهم وليعلموا أنّ المقدسات الإسلامية عليها ألف من الخطوط الحمراء لا يجب تجاوزها مهما طال الوقت بالمحتل فهو أولاً وأخيراً مجرد محتل يجب أن تتطهر منه البلاد، وحقوق الشعوب لا تسقط بالتقادم ومرور السنوات لا يعطي حقاً لمغتصب.

لقد أصبح لزاماً على منظمة التحرير الفلسطينية أن تحدّد موقفها النهائي بعد ذلك التحدي السافر لمشاعر المسلمين وطعنهم في دينهم على نحوٍ غير مقبول حتى على المستوى الغربي، وعلى كل الفصائل أن تعلنها صريحة وتفتح كلّ الخيارات وتتحدث بلغة يعرفها العالم جيدا، وهي لغة المقاومة المشروعة لإنقاذ الأرض".

قد أتى على مسلمي فلسطين قرابة قرن من الزمن مرابطين في الثغور، مدافعين بأموالهم وأنفسهم عن البلاد المقدسة التي كُتب تاريخها بدماء الصحابة وأتباعِهم المجاهدين، تتابعت حكومات الإسلام في أرضها، وتعالت رايات الإيمان في ساحاتها، حاول الصليبيون كسرها فجاسوا خلال الديار، لكن المسلمين وقفوا لهم بالمرصاد، كان العلماء يحثونهم على الجهاد، وكان الأغنياء يبذلون أموالهم في الإعداد، وكان الحكام يقودون المجاهدين لنصرة دين رب العباد، أمثال عماد الدين زنكي ونور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبي والمظفر قطز والظاهر بيبرس والمنصور سيف الدين قلاوون، وغيرهم من الأمراء الذين غرسوا في الأمة روح الجهاد فوقفوا درعاً أمام الحملات الصليبية حتى أخرجوهم من الأرض المقدسة.

قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾[1]، تتعاقب السنون ليتمالأ الكفار مرة أخرى ويتآمر الصليبيون واليهود جميعًا لوضع فلسطين في قبضة اليهود في جريمة من أعظم جرائم العصر، بإخراج شعبٍ من أرضه وإقامة شعبٍ آخر مكانه!!

ويستمر الصهاينة في القتل والإيذاء والاستيطان بتشجيعٍ ورضاً أو سكوت وإغضاء من دول الكفر الظالمة، كم أسالوا من الدماء، وأزهقوا من الأرواح، يدنسون المقدسات ويعقدون المؤتمرات لمخادعة العرب بسراب السلام، وقد أخبرنا الله أنهم يكذبون ويخادعون وينقضون العهود: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ

١. سورة آل عمران: ١٤٠.

أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[١].

لا مقاومة للصهاينة إلا بالقتال: ﴿كُتِبَ عليكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢]، عندما رُفعت راية الجهاد في فلسطين على أيدي قلة من المجاهدين بدأت قوائم القتلى تتصاعد في أوساط اليهود، وأخذ الأمن ينحسر، والهجرة اليهودية تتراجع، وتذوَّق المسلمون حلاوة النصر بدلاً من ذل الهزيمة وعفن السلام المزعوم.

هذا؛ والدول الاستعمارية الطاغية التي تدّعي أنها ترعى السلام وتحارب التطرف والإرهاب، وتدعي الاهتمام بحقوق الإنسان؛ لا تحجب عن اليهود مساعدات طلبوها، ولا تسألهم عن جريمة ارتكبوها، ولا توجّه إليهم حتى مجرد لوم وعتاب على القتل والظلم والخراب، بل يتوافد رؤساء تلك الدول ونوّابهم ومندوبوهم لتأييدهم، ومن لم يستحِ فليصنع ما يشاء.

إننا بحاجة إلى مراجعة للوضع وإصلاح للحال: ﴿إِنّ اللّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[٣]، فكيف يكون النصر ونحن نرى الجبن في النفوس واستجداء الحلول وتعليقها على دول صليبية وهي لا تفتر عن دعم اليهود ودولتهم منذ أن وجدوا؟!

أصبح كثير من قيادات الأمة ومناضليها المزعومين قليلي الدين، ضعفاء اليقين، يبيعون الحق والأمة بمنافع شخصية، هجروا ما أمرهم الله به في القرآن من إعداد القوة المادية والمعنوية للجهاد في سبيل الله، وسلكوا في قضية فلسطين مسالك المبادرات والمنظمات والتجمعات التي تتأرجح بين يمين ويسار بشعارات زائفة.

---

١. سورة البقرة: ١٠٠.

٢. سورة البقرة: ٢١٦.

٣. سورة الرعد: ١١.

أيّ سلام بعد آلاف القتلى من الأطفال والنساء بلا ذنب؟! أيّ سلام بعد عشرات الآلاف من الجرحى، وكثير منهم معاق طوال حياته؟! أيّ سلام بعد هدم بيوت المسلمين فوق أهلها؟! أيّ سلام وسجونهم مكتظة بالرجال والنساء وحتى الأطفال؟! أيّ سلام وهم يتوغلون ليل نهار في مدننا ومخيماتنا ويدنّسون مقدساتنا؟! أيّ مبادرة سلام وذل نبيع فيها أرضنا المباركة وقدسنا المعظم؟! صدق رسول الله ﷺ حيث يقول: "إذا تبايعتم بالعِينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد؛ سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم".[١]

إذا اتقينا الله واتبعنا القرآن وأخذنا بأسباب النصر فسيجعل الله لنا مخرجاً، وسينصرنا على أعدائنا، ومن أعظم أسباب النصر:

١. تحقيق الإيمان وتقوى الله.

٢. والتوحد وترك التنازع والتفرق، وإعداد ما نستطيع من العدة للجهاد في سبيل الله، والتضحية بالأموال والأنفس وغير ذلك من أسباب النصر التي بيّنها الله في كتابه الكريم.

وإنّ من أعظم أسباب نصر الله لنا أن ننصر دينه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قال الله -عز وجل-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[٢].

وإن الله ناصر دينه وعباده المؤمنين، كما قال -تبارك وتعالى-: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[٣]، وقال: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾[٤]، وقال الله -ومن أصدق من الله قيلاً-: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا

---

١. أخرجه أبو داود.

٢. سورة محمد ﷺ: ٧.

٣. سورة المجادلة: ٢١.

٤. سورة غافر: ٥١.

سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عليهمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾[٢].

فالمستقبل للإسلام ولو كره الكافرون، فعن أبي بن كعب قال: قال رسول اللهﷺ: "بشّر هذه الأمة بالسَّناء، والنصر، والتمكين، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا، لم يكن له في الآخرة نصيب".[٣]

القدس أغلى وأثمن وأكبر من أن تُترك لمفاوضات استسلام، قضيتنا في القدس لا تنفصل عن الإسلام، فليست أرضاً فلسطينية أو عربية فحسب، بل إنها قبل ذلك وبعده أرض المسلمين جميعاً.

الجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة، وهو فرض على هذه الأمة، جهاد الدفع عند ضعفها وجهاد الغزو عند قوتها، فما بال أقوام ينكرون هذه الفريضة والله يقول في كتابه الحكيم: ﴿كُتِبَ عليكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٤].

وعن أبي هريرة عن النبيﷺ قال: "من مات ولم يغزُ، ولم يحدث نفسه بالغزو؛ مات على شعبة من نفاق".[٥]

بلاد الشام تشمل فلسطين وسوريا ولبنان والأردن وبعض جنوب تركيا كأنطاكية، وبلاد الشام كلها أرض مباركة، وقد وردت في كتب السنة أحاديث صحيحة في فضائل

---

١. سورة آل عمران: ١٢.

٢. سورة الأنفال: ٣٦.

٣. أخرجه أحمد وهو حديث صحيح.

٤. سورة البقرة: ٢١٦.

٥. أخرجه أبو داود وهو حديث صحيح.

الشام نذكر منها ما يلي:

عن عبد الله بن عمر قال: قال النبيﷺ: "اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا". قالوا: يا رسول الله: وفي نجدنا؟! قال في الثالثة: "هناك الزلازل والفتن، وبها يطلع قرن الشيطان".[١]

عَنْ عَبْد اللَّه بْن عَمْرو بن العاص قَالَ: قَالَ رَسُول اللَّهﷺ: "إني رأيت عمودَ الْكتَاب انْتُزِعَ منْ تَحْت وسَادَتي، فنظرتُ فَإذَا هُوَ نورٌ ساطعٌ عُمدَ به إلَى الشَّام، أَلا إنَّ الإيمَانَ - إذَا وَقَعَت الفتن - بالشام".[٢]

وجاء من حديث أبي الدرداء وعمر بن الخطاب وابن عمر

عن ابن حَوالة قال: قال رسول اللهﷺ: "سيصير الأمرُ إلى أن تكونوا جُنوداً مُجَندَةً: جندٌ بالشام، وجندٌ باليمن، وجندٌ بالعراق". قال ابن حَوَالة: خِرْ لي يا رسول الله! إن أدركت ذلك!! فقال: "عليك بالشام؛ فإنها خيرةُ الله منْ أرضه، يَجْتَبي إليها خِيرتَهُ من عباده، فإن الله توكل لي بالشام وأهله".[٣]

عَنْ مُعَاوية بْن قُرَّةَ عَنْ أبيه قَالَ: قَالَ رَسُول اللَّهﷺ: "إذَا فسدَ أهلُ الشام فَلا خيرَ فيكُمْ، لا تزالُ طائفةٌ من أُمتي منصورين، لا يضرُّهم مَنْ خَذَلَهم حَتَّى تقومَ الساعةُ".[٤]

عن أبي الدرداء أنّ رسول اللهﷺ قال: "إنّ فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة إلى جانب مدينة يقال لها: دمشق، من خير مدائن الشام".[٥]

---

١. أخرجه البخاري.

٢. أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في تخريج أحاديث فضائل الشام.

٣. أخرجه أحمد وأبو داود، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير.

٤. أخرجه أحمد والترمذي وصححه.

٥. أخرجه أحمد وأبو داود، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

عن أبي هريرة أنه سمع رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يقول: "إذا وقعت الملاحِمُ بعث الله من دمشقَ بعثًا من الموالى، أكرم العرب فرسًا، وأجودهم سلاحًا، يؤيدُ الله بهم الدين".[١]

وأختم كلامي بهذا الحديث الصحيح الذي أخرجه أبو داود في سننه وأنقله لكم بإسناده: قال الإمام أبو داود: حدثنا عباس العنبري حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن أبيه عن مكحول عن جبير بن نفير عن مالك بن يخامر عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: "عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح قسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال"، ثم ضرب بيده على فخذ معاذ ثم قال: "إن هذا لحق كما أنك قاعد".

وهذا الحديث من أحاديث الملاحم وعلامات الساعة، والله ورسوله أعلم بمراده، ولا يعرف حقيقة معناه إلا عند وقوعه، ولكن علينا جميعًا أن نتوب إلى الله من ذنوبنا، وأن نحرص على ما ينفعنا في ديننا ودنيانا، وأن نعرض عما يضرنا في ديننا ودنيانا، وأن نستعد للقاء الله بتقوى الله فهي خير زاد، فما يدري أحدنا كم بقي من عمره ولا ما بقي من عمر الدنيا، وعلينا أن نستعيذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، ونسأل الله أن ينصر أهل الحق ويجعلنا منهم، وأن يكفينا شر الأشرار أهل الباطل والفساد، وأن يجنبنا اتباع الأهواء المضلة والفتن المهلكة.

""والمرحلة تتأزم أكثر فأكثر، وإخواننا هناك في الأرض المحتلة لم يبق لهم ملجأ ولا ملاذ إلا إلى الله تبارك وتعالى، ثم ما يأتيهم من إخوانهم المسلمين، فقد تقطعت بهم السبل والحيل، مقابل قوة إسرائيل، وهي الدولة الصهيونية المجرمة التي وراءها الغرب كله، وأكثر الشرق، بل حتى المداهنين ممن يدعون الانتساب لهذا الدين، كل هؤلاء في صف والفئة المؤمنة القليلة هناك وحدها ليس معها إلا الله تبارك وتعالى، فينبغي أن

---

١. أخرجه ابن ماجه والحاكم واللفظ له، وصححه ووافقه الذهبي.

نؤيدهم وننصرهم بكل ما نستطيع، ونعلم جميعاً أنه لا مستقبل لا في فلسطين ولا في غيرها من بلاد المسلمين المحتلة إلا بالجهاد، لابد من الجهاد في سبيل الله، وكل ما دون ذلك من مفاوضات، أو مباحثات، أو مجلس أمن، أو قرارات، فهذه كلها ونحن على ثقة مطلقة أنها غير مجدية ولا خير فيها".[١]

وأن على ثقة أنه لن ينجح أيّ حل ولا أيّ مفاوضات، ولن يكون بيننا وبين هؤلاء القوم إلا ما أخبر عنه النبيﷺ آخر الزمان؛ وهو أننا سوف نقاتلهم، والله تبارك وتعالى معنا بنصره وتأييده حتى يقول الحجر والشجر: يا مسلم! يا عبد الله! هذا يهودي خلفي، تعال فاقتله وهذا من عون الله تبارك وتعالى.

فما دون ذلك فإنما هو حلولٌ كاذبة أو مؤقتة أو تسكيتية أو ترضية لن تدوم أبداً، ولن يقبلها اليهود أنفسهم فضلاً عن المسلمين، لكن نحن ما يجب أن نقدمه هو العون المستمر والدعم والتأييد.

---

١. مقتبس من مقال للدكتور سفر الحوإلى: موقف المسلمين من القضية الفلسطينية.

المصادر

١- القرآن الكريم.
٢- السجستاني، سليمان بن اشعث، سنن أبي داود، دار الفكر، ١٩٩٠م.
٣- أحمد، مسند أحمد، دار الفكر، بيروت، ١٩٩١ م.
٤- البخاري، محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، بيروت، دار الفكر.
٥- الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢ م.
٦- الألباني، صحيح الجامع الصغير، المكتب الإسلامي، ١٩٨٨ م.
٧- الألباني، صحيح الترغيب والترهيب، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م.
٨- الترمذي، سنن الترمذي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٧٥ م.
٩- ابن ماجه، سنن ابن ماجة، دار الرسالة العالمية.